بهم في افعالهم ويتاسى بهم في اعمالهم ولا يرضى لنفسه ان يقصر عنهم ولا ان يكون في الخير
دونهم فتبعثه المنافسة على مساواتهم وربما دعته الحمية الى الزيادة عليهم والمكاثرة
لهم فيصيروا سببا لسعادته وباعثا على استزادته والعرب تقول في امثالها
لولا الوئام هلك الانام اي لولا ان الناس يرى بعضهم بعضا فيقتدي بهم في الخير
هلكوا ولذلك قال بعض البلغاء من خير الاختيار صحبة الاخيار ومن شر الاختيار
صحبة الاشرار لان للمصاحبة تاثيرا في اكتساب الاخلاق وقال الشاعر

ان صلاح المرء يصلح اهله ويعديهم عند الفساد اذا فسد
يعظم في الدنيا بفضل صلاحه ويحفظ بعد الموت في الاهل والولد

وانشدني بعض اهل الادب لابي بكر الخوارزمي

لا تصحب الكسلان في حاجاته كم صالح بفساد آخر يفسد
عدوى البليد الى الجليد سريعة والجمر يوضع في الرماد فيخمد

٢ وقد قيل الناس في الخير اربعة منهم من يفعله ابتداء ومنهم من يفعله اقتداء ومنهم
من يتركه استحسانا ومنهم من يتركه حرمانا فمن فعله ابتداء فهو كريم ومن فعله
اقتداء فهو حكيم ومن تركه استحسانا فهو ردي ومن تركه حرمانا فهو شقي
والقسم الثالث ان يفعل الزيادة ابتداء من نفسه التماسا لثوابها ورغبة في الرفعة
بها فهذا من نتايج النفس الزاكية ودواعي الرغبة الوافية الدالين على خلوص
النية وصحة اليقين وذلك افضل احوال العاملين واعلى منازل العابدين
٢ وللزيادة حالتان احداهما ان يكون مقتصدا فيها وقادرا على الدوام عليها
فهي افضل الحالتين واعلى المنزلتين عليها انقرض اخيار السلف وتبعهم فيها
فضلا الخلف وقد روت عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ايها الناس اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا من العمل وخير الاعمال
ما ديم عليه والعرب تقول في امثالها القصد والدوام وانت السابق الجواد
ولان من كان صحيح الرغبة في ثواب الله تعالى لم يكن له مسرة الا في طاعته قال
عبد الله بن المبارك رحمه الله قلت لراهب متى عيدكم فقال كل يوم لا نعصي
الله تعالى فيه فهو يوم عيدنا وخرج بعض الزهاد في يوم عيد في هيئة رثة

فيقال له



فقيل له اتخرج في مثل هذا اليوم في مثل هذه الهيئة الرثة والناس يتزينون
فقال ما تزين لله تعالى بمثل طاعته والحالة الثانية ان يستكثر منها استكثار
من لا ينهض بدوامها ولا يقدر على اتصالها فهذا ربما كان بالمقصر اشبه
لان الاستكثار من الزيادة اذا كان يمنع من اداء اللازم فلا يكون الا
تقصيرا لانه تطوع بزيادة احدثت نقصا وبنفل منع فرضا واما ان يعجز
عن استدامة الزيادة ويمنع من ملازمة الاستكثار من غير اخلال بلازم
ولا تقصير في فرض فهي اذا قصيرة المدى قليلة اللبث ولقليل العمل في
طويل الزمان افضل عند الله من كثير العمل في قليل الزمان لان المستكثر من
العمل في الزمان القصير قد يعمل زمانا ويترك زمانا فربما صار في زمان تركه
لاهيا او ناسيا والمقلل في الزمان الطويل مستيقظ الافكار مستديم
التذكار وقد روى ابو صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ان للاسلام شرة وللشرة فترة فمن سدد وقارب
فارجوه ومن اشير اليه بالاصابع فلا تعدوه فجعل للاسلام شرة وهي
الايغال في الاستكثار وجعل للشرة فترة وهي الاهمال بعد الاستكثار
فلم يخل لها اشتهر ان تكون هذه الزيادة تقصيرا او اخلالا ولا خير في واحد
منهما واعلم ان الله تعالى جعل العلم حاكما لك وعليك واكد فايدة ذلك واليك
ان الدنيا اذا وصلت تبعا تعويقة واذا فارقت فجعات محرقة وليس لوصلها دوام
ولا من فراقها بد فرض لنفسك على قطيعتها لتسلم من تباعتها وعلى فراقها لتامن
من فجايعها فقد قيل المرء مفترض من عمره المنقرض ان العمر وان طال قصير والفراغ
وان تم يسير انشدت لعلي بن محمد

اذا كملت للمرء ستون حجة فلم يحظ من ستين الا بسدسها
الم تر ان النصف بالليل حاصل وتذهب اوقات المقيل بخمسها
وتاخذ اوقات الهموم بحصة واوقات اوجاع تميت بمسها
فحاصل ما يبقى له سدس عمره اذا صدقته النفس في علم حدسها

فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اشرب قلبه حب الدنيا ركن اليها التاط

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)